سعة الجنّة: فُرصةٌ أم تهديد؟ كيف يمكن أن يتحوّل دخول الجنّة إلى تهديد للإنسان؟

ما مدى سَعة الجنّة للمؤمنين؟ وهل يمكن أن تُشكّل هذه السّعة مصدر قلق؟

عندما نتحدث عن الجنّة، تتكوَّن في أذهاننا صورةُ عالمٍ لا متناهٍ، مفعمٍ بالنِّعم، يفوق تصوّر الإنسان. إنّ هذا الامتداد اللامحدود لا يُجسّد فقط رحمةَ الله اللامتناهية ولطفَه الدائم، بل يكشف أيضًا عن الطاقة اللامحدودة الكامنة في الإنسان للانتفاع منها. غير أنّ اتّساع الجنّة يطرح تساؤلًا جوهريًا: هل نستطيع، بكل ما نحمله من قيود دنيويّة، أن نفهم الحياة في فضاءٍ بلا حدود ونحياها؟ أم أنّ قلّة استعدادنا للانتفاع من تلك الديار قد تجعل الجنّة نفسها تهديدًا لنا؟

فالجنّة، بما وسعت السماوات والأرض، ليست مكانًا تنتظرنا فيه النِّعم فحسب، بل ميدانًا تُختبَر فيه قابليّات أرواحنا وقدرتها على إدراك تلك الجمالات والتنعّم بها. إنّ التحدّي الكامن في رحابة الجنّة لا يقف عند عَظَمتها الظاهرة، بل يتعلّق أساسًا بمدى استعداد الروح والنفس لاحتضان هذا الفضاء. فهل ستكون الحياة في هذا الاتساع اللامحدود فرصةً للتحرّر من القيود الأرضيّة، أم ابتلاءً جديدًا يكشف مدى جاهزيّتنا؟ وهل تبقى سعادة الإنسان وطمأنينته صامدة أمام هذا الامتداد الهائل؟ ثم هل يستطيع أن يُحوّل تحدّي سعة الجنّة من تهديدٍ محتمل إلى فرصةٍ كبرى للنموّ والارتقاء الروحي؟

هذه هي الأسئلة التي تُثار حول "تحدّي سعة الجنّة"، لتُظهر لنا أنّ عظمتها، مع كلّ ما تحمله من بهاء وجمال، ليست محض رحمة ونِعمة، بل امتحانٌ عظيم يضعنا وجهًا لوجه أمام حدودنا، ويدعونا إلى تبنّي رؤيةٍ جديدة تجاه أنفسنا وموقعنا في نظام الخَلق.

سعة الجنة: إشكالية التهديد في رحاب النعيم المطلق

لفهم معنى "تحدّي سعة الجنّة"، لا بدّ أولًا من توضيح جانب التهديد الكامن فيها. فرغم أنّ رحابتها نعمة عظيمة، إلّا أنّها في الوقت نفسه قد تُشكّل تهديدًا كبيرًا. فمن حيث المبدأ، الحياة في البيئات الصغيرة أقلّ تعقيدًا بكثير. وللتوضيح، نستحضر "قانون النِّسبة": فالجنين يمكث تسعة أشهر في رحم الأم، في فضاءٍ ضيّق ومظلم، ويتغذّى طوال هذه المدّة من الدم الذي يصله عبر الحبل السُّرّي، وهذا يكفي لحياته في تلك المرحلة. لكن بمجرّد خروجه إلى الدنيا، تتبدّل الشروط، إذ يُصبح محتاجًا إلى أنواع متعدّدة من

الطعام، واللباس، والمسكن، والحياة الاجتماعية، والتعليم، وغير ذلك من متطلّبات، فتظهر أمامه تحدّيات كثيرة.

ولفهم هذا المفهوم بشكل أعمق، يمكننا ضرب مثلٍ بالمقارنة بين مدينة صغيرة ومدينة كبرى. فالحياة في مدينة صغيرة غالباً ما تكون أبسط وأقل تحدياً؛ إذ يعرف الناس بعضهم البعض، وتكون العلاقات الاجتماعية أكثر حميمية، كما أن الوصول إلى المرافق، وإن كان محدوداً، فهو ميسّر وكافٍ. كل شيء متاح بطريقة أو بأخرى، ولا تتطلب الحياة فيها تخطيطاً معقداً.

أما الحياة في حاضرة كبرى فهي مختلفة تماماً؛ إذ إن المساحة الحضرية الشاسعة، والكثافة السكانية الهائلة، والتنوع الثقافي، بالإضافة إلى تعقيدات مثل الازدحام، والمنافسة الشديدة، والشعور بالغربة بين الحشود، يمكن أن تجعل الحياة أصعب. وحتى إذا أردنا أن نبدأ مشروعاً تجارياً، فعلى الرغم من أن حجم الربح في المدن الصغيرة قد يكون أقل، إلا أن ممارسة النشاط التجاري في حاضرة كبرى تحمل في طياتها تحدياتٍ جمةً بسبب البيئة التنافسية السائدة. وعليه، فإن الحياة في مدينة كبرى تحمل في طياتها تحدياتٍ أكثر بكثير مقارنةً بمدينة صغيرة.

سعة الجنة: تحدي الاستعداد الروحي المسبق

إنّ تحدّي كلّ بيئة يرتبط بصِغَرها أو كِبَرها؛ فكلّما اتّسعت البيئة ازدادت معها النِّعم، لكنّ الانتفاع من تلك النِّعم يستلزم أدواتٍ واستعداداتٍ أكمل، ينبغي للإنسان أن يكون قد كوّنها في ذاته سلفًا. ولتوضيح هذا المعنى في سياق "تحدّي سعة الجنّة"، نعود إلى ما ورد في مقالة: اكتساب قلب سليم حيث قلنا إنّ الغاية من خَلق الإنسان هي تحصيل "قلب سليم"، أي قلب يسير في الدنيا نحو الكمال، وهو خلاصة ثمرة المسير الدنيوي كلّه.

من جهة أخرى، تحدّثنا في مقالة أنواع الولادات عن ستّ أنواع ولادات للإنسان: من الرحم إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى الآخرة. إنّ الإنسان لا يستطيع أن ينعم بالطمأنينة الأبدية ورحابة نعم الجنّة إلّا في حالتين: إذا وُلد ولادةً سليمة، أو وُلد ولادةً سليمة قويّة. أمّا إذا انتقل إلى عالم الآخرة بولادةٍ ضعيفة، أو مريضة، أو ناقصة، أو معطوبة، فإنّه يفتقر إلى الاستعداد اللازم للانتفاع من الجنّة، ويصطدم عندئذٍ بـ "تحدّي سعة الجنّة"، فيُحرم من نِعمها. وهكذا، فالجنّة تستلزم كسب استعداد عظيم ومهاراتٍ عالية مُسبقة.

إنّ "تحدّي سعة الجنّة" يرتبط ارتباطًا مباشرًا بضرورة تحصيل قلب سليم، إذ لا ينسجم مع طبيعة الحياة الأخروية سوى هذا القلب وحده، وهو السبيل الأوحد لولادة سليمة وقويّة في الآخرة. فإن لم يتحقّق في

الدنيا، تحوّلت الجنّة، برحابتها اللانهائية، من فرصةٍ عظيمة إلى تهديدٍ للإنسان. فالقلب السليم هو بعينه الاستعداد الحقيقي للانتفاع من إمكانات الجنّة.

بعبارة أخرى: إنّما تكون الجنّة لنا نعمةً وفرصةً إذا دخلنا الآخرة بولادةٍ مقبولة. أمّا مجرّد العلم بأنّ هناك جنّةً واسعة بقدر السماوات والأرض،[1] فذلك لا يكفي، بل يجب على الإنسان، في عمره الدنيوي المحدود، أن يبني بنية نفسه وفق قوانين الجنّة ونسقها الرياضي، ويحمل معه بصحبتها سرّ الخلود. فإنّنا عاجلًا أم آجلًا، شئنا أم أبينا، سنُبعث إلى الآخرة، وإن لم نكن مستعدّين لها، سنلقى الجنّة باعتبارها تهديدًا لا نعمة.

تحدّي سعة الجنّة... فرصة للانتفاع منها

إنّ رحابة الجنّة اللامتناهية ليست تهديداً فحسب، بل هي فرصة كبرى للنمو والارتقاء ودعوة للاستعداد كي نحسن الانتفاع من عظمتها. فالجنّة، بما تملكه من سَعة وبُعدٍ لا نهاية له، قد تبدو للوهلة الأولى مثقلة بالتحدّيات، لأنّ على الإنسان أن يبني هذه الجنّة اللامحدودة في نفسه وهو في الدنيا، ثم يحملها معه إلى الآخرة. هذه العظمة تُثير في داخل الإنسان تساؤلات عميقة: هل نملك القدرة الكافية لفهم فضاءٍ كهذا والانتفاع به؟ هل يمكننا أن نستثمر هذه الفرص دون أن نشعر بالارتباك أو فقدان المعنى؟ إنّ هذا التحدّي بالذات هو الذي يدعونا إلى مزيدٍ من الاستعداد لتلقّي نعم الجنّة. في حقيقة الأمر، إنّ "تحدّي سعة الجنّة" ليس سوى فرصة لرفع قابليّاتنا الروحية والمعرفية والمعنوية ونحن في الدنيا. فهو أشبه برحلة إلى مقصدٍ عظيم، يحتاج إلى علمٍ، وتمرينٍ، واستعدادٍ كي نتمكّن من الاستفادة الكاملة من كلّ ما فيه من جمال وفرص. والجنّة، بحسب التعاليم الدينية، ليست دارًا للنِّعم التي لا نهاية لها فحسب، بل هي فضاءٌ رحبٌ يتيح تواصلاً أعمق مع اللّه، ونموًا روحيًا، وتجربةً متكاملةً من الحبّ والسكينة.

وحياة الدنيا إنّما هي الفرصة لتربية تلك الخصائص التي تجعل الإنسان مهيّأً لا لئلّا يضيع في رحابة الجنّة، بل ليغتنم كلّ ما فيها من نِعم ومقامات. وهكذا، فإنّ "تحدّي سعة الجنّة" يدعو الإنسان إلى التدرّب على طلب المعرفة، والسير في طريق التشبّه بالله، ليجد موقعه الحقيقي في ذلك الفضاء اللامحدود. فالعظمة الأخروية ليست تهديدًا، بل فرصةٌ تدفعنا للاستعداد الأوفى، ولنلقى الجنّة بقلوب سليمة.

[1] «وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» (آل عمران، ١٣٣).

لقد تبيّن لنا أنّ سعة الجنّة ذات وجهين: فهي في آنٍ واحد "فرصة" و"تهديد". غير أنّ حقيقتها تتجلّى في كونها دعوةً للإنسان كي يرتقي إنسانيًّا. وكما أنّ كلّ تحدٍّ عظيم يمكن أن يتحوّل إلى ساحةٍ لازدهار الإنسان، فإنّ رحابة الجنّة تدعونا لعبور حدود الدنيا بوعيٍ أكبر واستعدادٍ أكمل، فنبلغ السعادة الحقّة. وهذا التحدّي، إنّما هو آية على فُسحةٍ أوسع للوصول إلى غاية الخلق، وللانتفاع من فيض نِعَم الله التي لا تنقضي في جنّةٍ أبديةٍ مهيبة.

.